ISSN 2072-4756= The Arabic Language and Literature : الرقم الدولي
ISSN Online 2664 - 4703

مجلة اللغة العربية وآدابها

مجلة وطنية علمية فصلية محكمة

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الكوفة

العدد

الرقم الدولي : ISSN Print 2072– 4756
ISSN Online 2664-4703

اللغة العربيةوآدابها

مجلة وطنية علمية فصلية محكّمة

تصدر عن كلية الآداب ـ جامعة الكوفة

العدد الثلاثون

صفر ١٤٤١هـ – تشرين الأول ٢٠١٩ م

المحتويات

دلالة الإفراد والجمع في زيارات الإمام الحسين (عليه السلام)

الأستاذ الدّكتور
حيدر جبار عيدان
hayder.albosebi@uokufa.edu.iq
الباحث
حسن جميل الرّبيعي
جامعة الكوفة- كليّة الآداب

Singularity and Plurality In Ziyarat Al-Imam Al-Hussain

Prof. Dr.
Hayder Jebbar Eidann
Researcher
Hasan Jameel Al-Rubaye

الخلاصة :

إن بنـاء المفـردات العربيـة لم يكـن تعسـفيًا. بـل هـو مـبني علـى أهـداف وغايات دلالية، وأي تغيير في هذا البناء يؤدي الى تغيير في الدلالات والاغراض ، هـو مـا يـدعو الى الافـراد والجمـع في الالفاظ لتنتقل تلك الألفاظ الى دلالات ويتعدد معناها في النص.

وتأسيساً على ما تقدّم يتنوّع الكلام في اللُّغة بين إفراد وتثنية وجمع، إمّا أن يكـون هـذا الإفـراد والتّثنيـة والجمـع حقيقـةً، أو يكـون مجـازاً، في أن ينـوب أحدها عن الآخر، كأن يحلّ الإفراد بدل الجمع، أو الجمع بدل الإفراد، أو الجمع بدل التّثنية لدواعٍ دلاليّة يقتضيها المقام؛ وحتّى أكثر الإتيان بها حقيقةً كمخاطبة المفرد بالمفرد، أو مخاطبة الجمع بالجمع هـو لـدواعٍ دلاليّـة في الـنَّصِّ، نظـراً إلى القصديّة في اللُّغة، أو إرادة بيان المقصود من خلال اللَّفظ.

الكلمات المفتاحية : الامام ، الحسين ، زيـاة ، الافـراد ، الامـة ، الصـلاة ، الجمع

ABSTRACT

The construction of Arabic vocabulary was not an arbitrary one. It has an aim, and any change in this construction is for reason. Construction itself is a purpose which is why the singularity, duality or plurality has a significance connotation in a text. This connotation compel to the context (the speaker's situation, his circumstance, and the listener's situation). Singularity sometimes indicates individuality, other times indicates glorification. The same case can be seen in plurality. The current research found that in Ziyarat Al-Imam Al-Hussain. The singularity of a word may indicate individuality and complete unification as in the words related to God (divinity).

Finally, the plurality of a word in talking to great and high persons refers to the glorification and reverence to them.

Keywords: Imam, Hussein, Ziyat, Individuals, Nation, Prayer, Plural

المقدّمة:

من آداب الكلام ومقتضياته الجماليّة والفنيّة، ولما ينصرف له في أدب الحوار والدّعاء والخطاب، هو أن يعمد المتكلّم إلى أن يفرد، أو يثنّي، أو يجمع في كلامه.

إنَّ الأصل في الكلام ((دلالة كلّ لفظ على ما وُضِعَ له، فيدلّ المفرد على المفرد، والمثنّى على اثنين، والجمع على جمع، وقد يخرج عن هذا الأصل))(١) بحسب المخاطب الّذي يوجّه الكلام إليه، وبحسب حاجة الكلام الّتي اقتضته، وبحسب المقام الَّذي هو فيه؛ إذ إنّ هذه الأمور كلّها هي الموجّهة للنّصّ في بنائه، ومن خلالها يتّضح المعنى المراد من خلال الكلام.

وتأسيساً على ما تقدّم يتنوّع الكلام في اللُّغة بين إفراد وتثنية وجمع، إمّا أن يكون هذا الإفراد والتّثنية والجمع حقيقةً، أو يكون مجازاً، في أن ينوب أحدها عن الآخر، كأن يحلّ الإفراد بدل الجمع، أو الجمع بدل الإفراد، أو الجمع بدل التّثنية لدواعٍ دلاليّة يقتضيها المقام؛ وحتّى أكثر الإتيان بها حقيقةً كمخاطبة المفرد بالمفرد، أو مخاطبة الجمع بالجمع هو لدواعٍ دلاليّة في النَّصِّ، نظراً إلى القصديّة في اللُّغة، أو إرادة بيان المقصود من خلال اللَّفظ، قال ابن جنّي (٣٩٢هـ) بعد أن أتى بمثال فيه إفراد مع القدرة على الجمع: ((فأفرد الضّمير، مع قدرته على جمعه. وهذا يدلّك على قوّة اعتقادهم أحوال المواضع، وكيف ما يقع فيها؛ ألا ترى أنَّ الموضعَ موضعُ جمعٍ، وقد تقدّم في الأول لفظ الجمع، فترك اللّفظ وموجب الموضع إلى الإفراد؛ لأنَّه مما يُؤْلَف في هذا المكان))(٢).

إنَّ هذا التّغاير بين الإفراد والتّثنية والجمع دعا عدداً من أئمّة اللّغة إلى البحث والتّعرّض إلى هذا الجانب، وأشاروا إليه إشاراتٍ مختلفةً، كلٌّ بحسب بحثه؛ فبَيْن من بحث في جوازها وكونها سنّةً من سنن العربِ، وبَيْن من جمع ما

ورد في هذا الباب من شواهد وخصوصاً في القرآن الكريم، وقام بتوضيحها، وبين إشارات دلاليّة طفيفة من هنا وهناك قد تكثر في كتب التّفاسير في تفسير آيات معيّنة(٣).

وقد بحثنا في هذا البحث دلالة الإفراد والجمع في زيارات الإمام الحسين (عليه السلام) وما أدت من دلالات وقد جعلناه في قسمين؛ الأول منهما في الإفراد ودلالاته، ثم الثاني في الجمع ودلالاته.

أوّلاً: الإفراد:

حقيقة الكلام تقتضي أن يكون اللّفظ المفرد يدلّ على مفرد في الحقيقة الخارجيّة له، ولكنّ ظروف الكلام تقتضي تغييراً في بعض الأحيان، فيخاطب الجمع مخاطبة المفرد، وهو من أساليب العرب المتّبعة في الكلام، قال سيبويه (١٨٠هـ): ((وليس بمُسْتَنْكَرٍ في كلامهم أن يكون اللفظُ واحداً والمعنى جميعٌ))(٤).

وقال ابن خالويه (٣٧٠هـ): ((فأمّا الواحد يُؤدّى عن الجمع فكثير))(٥).

وقال ابن فارس (٣٩٥هـ): ((العرب تصف الجميع بصفة الواحد))(٦).

وقد أقام الثّعالبيّ (٤٢٨هـ) باباً في كتابه تحت عنوان ((فصل في إقامة الواحد مُقام الجمع))(٧)، وجاء فيه بعدد من الشّواهد القرآنيّة لهذا الباب.

وقد يكون هذا الإفراد حقيقيّاً، فيأتي به المتكلّم مفرداً، وهو يستطيع أن يأتي به مثنّى أو جمعاً، ويدلّ على الإفراد أيضاً من خلال المعنى، ولكنّ المتكلّم يقصد إلى الإفراد قصداً لغاية دلاليّة إضافة إلى وجود الحقيقة الخارجيّة المفردة.

وهذه الألفاظ المفردة المبثوثة في الزّيارة كإفراد الألفاظ الدّالّة على الله تعالى، أو إفراد بعض الكلمات وهي تستحقّ الجمع، أو مخاطبة المزور بالإفراد، أو التّكلّم بحال المفرد، وما تحوي من دلالات يحاول الباحثُ ذكر

أمثلة ممّا ورد منها، وما تؤدّي إليه من دلالات في الزّيارات.

وأوّل ما يواجه الباحث في باب إفراد الألفاظ في الزّيارات هي النّصوص الدّالّة على ربّ العزّة والجلالة، أو الّتي خوطب بها تعالى، فإنّ الألفاظ هذه كلّها جاءت مفردة، ولم يأتِ لفظٌ منها جمعاً، من ذلك قوله (عليه السلام): ((وأَسْأَلُ اللهَ الْبَرَّ الرَّحِيمَ أَنْ يُتِمَّ ذَلِكَ لِي، أَشْهَدُ أَنَّكُمْ قَدْ بَلَّغْتُمْ عَنِ اللهِ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَلَمْ تَخْشَوْا أَحَداً غَيْرَهُ، وَجَاهَدْتُمْ فِي سَبِيلِهِ، وَعَبَدْتُمُوهُ حَتَّى أَتَاكُمُ الْيَقِينُ))[٨]، أو قوله (عليه السلام): ((الْحَمْدُ للهِ الْوَاحِدِ الأَحَدِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ الَّذِي هَدَانِي لِوِلايَتِكَ، وَخَصَّنِي بِزِيَارَتِكَ، وَسَهَّلَ لِي قَصْدَكَ))[٩]، أو قوله (عليه السلام) بعد الزّيارة: ((اللَّهُمَّ، إِنِّي صَلَّيْتُ وَرَكَعْتُ وَسَجَدْتُ لَكَ وَحْدَكَ، لا شَرِيكَ لَكَ؛ لأَنَّ الصَّلاةَ وَالرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ لا يَكُونُ إِلا لَكَ؛ لأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ))[١٠].

إنّ النّاظر إلى الزّيارات كلّها يجد الإمام الصّادق (عليه السلام) يزيد في تنزيه الخالق عزّ وجلّ، ويحرص على ذلك في بناء نصوص الزّيارات.

إنّ هذه النّصوص كلّها محورها هو الله سبحانه وتعالى، فإمّا أن يقرأ الزّائر ما ورد في الزّيارة من صفات الله تعالى، أو يدعو الله تعالى بما ورد فيها، والملاحظ أنّ كلّ ما يتعلّق به تعالى هو مفرد في اللّفظ فقط، ولم يأتِ شيءٌ منه بصيغة الجمع، ودلالة هذا الإفراد من الجانب اللّغويّ يعني أنّ الله تعالى واحدٌ أحدٌ فردٌ صمدٌ، لا شريكَ له، ولا إله إلا هو، وهذا هو دلالة التّوحيد العُظمى.

وبناءً على ما تقدّم فإنّ الزّائر يعتقد اعتقاداً كاملاً أنّ له إلهاً واحداً لا شريك له؛ وذلك ما يفيده من خلال الألفاظ المفردة الّتي جاءت في النّصّ، إذ لا يجوز أن يذكر الموحّد نصّاً عن الله تعالى، أو يدعوه به، وهو يعظّمه من خلال الجمع أو التّثنية، حاشا لله، قال السّهيليّ (٥٨١هـ): ((لا يجوز لعبد أن

يقول ربّ اغفروا، ولا ارحموني، ولا عليكم توكّلْتُ، ولا إليكم أنبْتُ، ولا قالها نبيٌّ قطُّ في مناجاته، ولا نبيٌّ في دعائه لوجهين؛ أحدهما: أنّه واجب على العبد أن يُشْعِرَ قلبَه التّوحيدَ، حتّى يشاكلَ لفظُهُ عقدَهُ...))[11].

إنَّ عظمة الله تعالى تتجلّى في وحدانيّته وتوحّده في الأمور كلّها، وتمام الصّنعة، وكمال الأمر، قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[12].

وقد يرد إشكال هنا وهو أنَّ الله تعالى قد عظّم نفسه في عدد كبير من آيات القرآن، ووصف نفسه بصفات الجمع تعظيماً، كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾[13] وغيرها من الآيات... فلِمَ لا يجوز أن يعظّمه من يدعوه بلفظ الجمع؟! وقد ردَّ ابن مالك (٦٧٢هـ) هذا الإشكال، وحصر ما ورد في الذّكر العزيز جمعاً تعظيماً لله تعالى بالسّماع الّذي لا يجوز فيه القياس، فقال: ((فأمّا أسماء الله تعالى؛ فمعنى الجمعيّة فيها ممتنع، وما ورد منها بلفظ الجمع فتعظيمٌ يتوقّف فيه على السّماع أصلاً، كما يتوقّف عليه في غيره من الثّناء والحمد، بل التّوقّف على السّماع في هذا أحقّ، لأنَّ من النّاس من أجاز اشتقاق الأسماء من أفعال الله تعالى على وجه يُؤمَنُ معه إيهام ما لا يليق بجلاله تبارك وتعالى، ولا أعلم أحداً يجيز للدّاعي أن يدعو اللهَ بلفظ الجمع؛ لأنَّ ذلك يوهم خلاف التّوحيد))[14].

إنَّ ما أثبته الباحثُ من النّصوص المفردة في الزّيارات كان الإمام الصّادق (عليه السلام) يهدف من خلالها إلى تثبيت التّوحيد بأسلوب لغويّ عن طريق إفراد الألفاظ الدالّة عليه تعالى، فدلالة التّوحيد حاضرة في كيان الإمام (عليه السلام)، وهو يعيشها حقيقةً ذاتيّةً في نفسه ومشاعره وكلّ وجوده؛ لهذا لم يحد عن هذه الحقيقة المتأصّلة في نفسه، وذاته، وشعوره لا بقولٍ، ولا بفعلٍ.

وممّن ذكر هذا الباب من النّحاة – غير ابن مالك والمعلّقين على تسهيله والشّارحين له – ابن عنقاء (١٠٥٤هـ)[15] إذ بعد أن تحدّث عن ضمائر الجمع

ودلالتها على التّعظيم قال: ((والظّاهر امتناعه في حقّه تعالى؛ لأنّه لم يرد في توقيف، نعم، سُمعَ من كلامهم، كقوله: ﴿من الطّويل﴾

ألا فارحموني يا إله محمّد ❖❖❖ فإن لم أكن أهلاً فأنتم له أهل

وليس بحجّة لعدم وروده في الكتاب والسّنة الثّابتة عنه (صلى الله عليه وآله)))[16].

وأضيفُ على قوله: إنّ البيت الشّعريّ هذا مجهولٌ القائل غير منسوب، وأوّل من استشهد به هو الزّمخشريّ (٥٣٨هـ) في كشّافه[17]، فمن الصّعوبة أن يعتمد كشاهد لغويّ يستدلّ به على صحة هذا الأسلوب.

الموضع الثّاني الّذي ترد فيه الألفاظ مفردة هو فيما يخصّ صفات أهل البيت (عليهم السلام)، كقوله (عليه السلام): ((وَأَشْهَدُ أَنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ وُلْدِكَ كَلِمَةُ التَّقْوى، وَأَعْلامُ الْهُدى، وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقى، وَالْحُجَّةُ عَلى أَهْلِ الدُّنْيا))[18].

ويَرِدُ هذا النَّصُّ في كثير من الزّيارات على هذه الصّورة وهو يظهر صفاتهم الإلهيّة، وكلّ وروده هو بصيغة الإفراد (كلمة، العروة، الحجّة)، بينما المتحدَّث عنهم هم جماعة، ومن المفروض لغةً أن يكون الكلامُ جمعاً، فيقال: (إنّكم كلمات التقوى...)، ولكنَّ المنشئ (عليه السلام) اكتفى بإيراده بصيغة الإفراد، وذلك لأنَّهم صلوات الله عليهم لا يختلفون في ذات الله، ولا في منهج الهداية الإلهيّة، فهم ((يصدرون في إمامتهم عن مشكاة واحدة، ويسعون إلى هدفٍ واحد، ويستنيرون ببصيرة تستمدُّ هديها من وحي السّماء))[19]، وأوّلهم كآخرهم من النّاحية الرّساليّة.

فهم خطٌّ متّصلٌ فيما بينهم يُواصل كلٌّ منهم ما قام به من سبقه، ولا فرق بينهم إلا بأشخاصهم وأعلامهم؛ ولذا نرى أنَّ ألفاظ الزّيارة جاءت بالإفراد، إلا لفظ (الأعلام) فإنّه أورده بالجمع؛ لأنَّ أعلامهم مختلفة؛ أمّا هدفهم الرّساليّ، ومشروعهم الرّبانيّ واحد؛ ولذا ورد عنهم في الوحدة بينهم أنّهم خطٌّ واحدٌ متّحدٌ لا فرق بينهم؛ فقد رُوِيَ أنَّ الإمامَ الكاظم (عليه السلام) سُئِلَ عن

أفضليّة زيارة أيّ إمام، فأجاب (عليه السلام): ((يا عبد الرَّحمن، من زار أوَّلنا فقد زار آخرنا، ومن زار آخرنا فقد زار أوّلنا، ومن تولّى أوَّلنا فقد تولّى آخرنا، ومن تولّى آخرنا فقد تولّى أوَّلنا، ومن قضى حاجةً لأحدٍ من أوليائنا فكأنَّما قضاها لأجمعنا))(٢٠).

إذاً الأئمّة (عليهم السلام) هم كيانٌ واحدٌ بأشخاص متعدّدين، وأدوار مختلفة بحسب ما تقتضيه الرّسالة الإسلاميّة بالتّلاؤم مع الزَّمان وظروفه، قال السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر (١٤٠٠هـ): ((إنَّ وجودَ دورٍ مشتركٍ مارسه الأئمّة جميعاً ليس مجردَ افتراضٍ نبحث فيه عن مبرّراته التّاريخيّة، وإنّما هو ممّا تفرضه العقيدة نفسها، وفكرة الإمامة بالذّات؛ لأنَّ الإمامةَ واحدةٌ في الجميع بمسؤوليّاتها وشروطها، فيجب أن تنعكس انعكاساً واحداً في سلوك الأئمّة وأدوارهم، مهما اختلفت ألوانها الظّاهرية بسبب الظّروف والملابسات، ويجب أن يُشكّلَ الأئمّةُ مجموعُهم وحدةً مترابطةَ الأجزاء، يواصلُ كلٌّ جزءٍ في تلك الوحدة دورَ الجزء الآخر ويكمّله))(٢١)، فهم وحدةُ هدفٍ، وتعدّد أدوار.

فأفاد إفراد الألفاظ هنا الوحدة المبدئيّة العقائديّة، ووحدة المشروع الّذي سار عليه الأئمة (عليهم السلام)، فـ ((توحيد اللّفظ إيماء إلى توحّد الهدف، وتضافر الأيدي والنُّفوس.. ذلك هو الغرض من الإفراد))(٢٢).

وقد ذكر الرضيّ الاستراباديّ (٦٨٦هـ) هذا المعنى في شرحه على الكافية، فقال: ((وقد يقع المفرد موقع الجمع كقوله تعالى: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾(٢٣)، وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾(٢٤)؛ وذلك لجعلهم كذات واحدة في الاجتماع والتّرافد))(٢٥).

وممّا يؤكّد هذا المعنى في نصوص الزّيارات تكرار النّص نفسه على سائر الأئمة بإدراج الصّفات نفسها مفردة، وتغيير الاسم فقط، من هذا ما ورد في قوله (عليه السلام) في السّلام على أمير المؤمنين (عليه السلام): ((اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى أَمِيرِ

الْمُؤْمنينَ عَبْدكَ وأَخي رَسُولكَ، الَّذي انْتجَبْتَه بعلْمكَ، وجَعَلْتَه هَادياً لمَنْ شئْتَ منْ خَلْقكَ، وَالدَّليلِ عَلَى مَنْ بَعَثْتَه برِسَالاتكَ، ودَيَّان الدِّين بعَدْلكَ، وفَصْلِ قَضائكَ بَيْنَ خَلْقكَ، والْمُهَيْمنِ عَلَى ذَلكَ كُلِّه، وَالسَّلامُ عَلَيْه وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُه))، ثمّ صلّى بعده على الحسن (عليه السلام) بالصلاة نفسها، ثمّ قال الإمام الصّادق (عليه السلام) بعدها: ((ثُمَّ تُصَلِّي عَلَى الْحُسَيْنِ وسَائرِ الأَئمَّة (عليهم السلام) كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَى الْحَسَنِ (عليه السلام)))(٢٦).

ومثل هذا الباب في توحيد الغاية والهدف من خلال الإفراد، قوله (عليه السلام): ((اللَّهُمَّ، الْعَنِ الَّذينَ بَدَّلوا نعْمَتَكَ، وخالَفُوا ملَّتَكَ، ورَغبوا عَنْ أَمْركَ، واتَّهَموا رَسولَكَ، وصَدّوا عَنْ سَبيلكَ))(٢٧)؛ فقد أفرد لفظ الملّة، والأمر، والسّبيل، لكي يدلّ على أنَّ ملّة الله هي واحدة متّحدة، وأمرَ الله واحدٌ لا ثاني له، والسّبيل الحقيقي إلى الله هو واحد، {قُلْ هذهِ سَبيلي أَدْعو إِلى اللهِ}(٢٨).

ومن هذا الباب نفسه يأتي توحيد العدوّ في الزّيارة، كقوله (عليه السلام): ((اللَّهُمَّ ابْعَثْه مَقَاماً مَحْمُوداً تَنْصُرُ به دينَكَ، وتَقْتُلُ به عَدُوَّكَ))(٢٩)، و((مُدْركٌ لَكُمْ في الأَرْضِ عَدُوَّهُ))(٣٠)، و((فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لا مَعَ عَدُوِّكُمْ))(٣١)، وغيرها من النّصوص الّتي أفردت لفظ (العدوّ).

إنَّ هذه النّصوص تدلّ على أنَّ أعداء ملّة الله على كثرتهم لهم منهجٌ واحدٌ في مواجهة الحقّ، والصّدّ عن سبيل الله تعالى، وهذا الإفراد مع تعدّد مشاربهم يبيّن اتّحادهم في الغاية والهدف، وخروجهم من ولاية الله تعالى ودخولهم في ولاية الشّيطان، وهذا الأمر يوجّه بدرجة عالية إلى مفهوم البراءة، إذ كلّ عدوٍّ لله ولرسوله ولأولي الأمر وللمؤمنين لا بدّ أن يتبرّأ الموالي منه، فليس هناك عدوٌّ لا براءةَ منه، بل البراءة منهم بأجمعهم، وهذه فائدة ثانية للإفراد هنا.

ومن المواضع التي جاء الإفراد واضحاً فيها إفراد لفظة (أمّة)، مع تعداد أصناف من الأمم يذكر قبل كلّ واحدة منها لفظ (أمّة)، كقوله (عليه السلام): ((لُعنَتْ أُمَّةٌ قَتَلَتْكُمْ، وأُمَّةٌ خَالَفَتْكُمْ، وأُمَّةٌ جَحَدَتْ وَلايَتَكُمْ، وأُمَّةٌ ظَاهَرَتْ عَلَيْكُمْ، وأُمَّةٌ شَهِدَتْ ولَمْ تُسْتَشْهَدْ))(٣٢)، وقوله (عليه السلام): ((لَعَنَ اللهُ أُمَّةً قَتَلَتْكَ، وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً خَذَلَتْكَ، وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً خَذَلَتْ عَنْكَ))(٣٣)، وقوله (عليه السلام): ((فَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً قَتَلَتْكَ، وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً ظَلَمَتْكَ، وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً سَمِعَتْ بِذلِكَ فَرَضِيَتْ بِه))(٣٤).

والملاحظ أنّ النُصوص باختلافها ذكرت لفظ (أمّة) مفرداً، ولم تقل (أمم) بالجمع، والظّاهر أنّ المنشئ (عليه السلام) يريد أن يخصّ كلّ أمّة باللّعن، فكلّ أمّة من الأمم المذكورة هي مقصودة بعينها، فيدعو على كل واحدٍ باللّعن ممّا يعطي دلالةً على شدّة العذاب، فلكلٍّ منها لعنٌ خاصٌّ بها، وهذا اللعن يعني الطّرد والإبعاد عن رحمة الله(٣٥)، وفي هذا الطّرد ما يكفي من الخسارة والخزي والعار، ولو جاء بالجمع لما كان له هذا البعد الدّلالي، إذ يكون اللّعن على الأمم واحداً، ولّما يكون واحداً يشمل الجميع فالفظاعة فيه أقلّ، أمّا حين يكون خاصّاً لكلّ مجموعة فسوف يزيد في صورة شدّة العذاب، وقوّته؛ فهم قد انفردوا به، والانفراد بنفسه نوع من أنواع العذاب.

وشبْهُ هذا المورد نفسه قوله (عليه السلام): ((اللَّهُمَّ، احْشُ قُبُورَهُمْ نَاراً، وأَجْوَافَهُمْ نَاراً))(٣٦)، فذكر النّار مفردة ولم يأتِ بها جمعاً، وكرّرها ثانيةً للدّلالة على أنّ الأولى غير الثّانية، وأنّ لكلّ واحد منهما ناراً خاصّةً به، وتختلف في صورتها عن النّار الأولى، وقد كان يستطيع القول ((احشُ قبورهم وأجوافهم نيراناً))، ولكنّه خصّ كُلَّ واحدة منها بنار خاصّة غير النّار الأولى زيادة عليهم في الفظاعة وشدّة العذاب، فكأنّها نارٌ خاصّةٌ به، فإفرادها يوازي إفراده، فتكون النّارُ كأنّها أُعِدَّتْ له، ولكلّ واحدٍ منهم مع ما يستحق.

وقد يأتي الإفرادُ لبيان حقيقة الشّيء وما هو المراد منه، فيأتي بالجنس ولكن ما وراء الإتيان بالجنس هو لدلالة معيّنة أيضاً، فيذكر الجنس ويريد العموم، كقوله (عليه السلام): ((أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلاةَ، وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ، وَأَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ))(٣٧)، فقد أفرد الصّفات الّتي يريد بيان حقيقتها، قال المبرّد (٢٨٥هـ) - في موضع مشابه -: ((ووَضَعَ الواحدَ في موضع الجمع؛ لأنّه للجنس))(٣٨).

فالمزور لم يصلِّ صلاةً واحدةً، بل صلّى الصّلاة الكاملة الحقيقيّة الّتي يريدها الله تعالى، والإتيان باللّفظ المفرد للجنس تشمل كلّ صلاة صلاها، ويصبح الواحدُ أعمَّ من الجمع، ((فإن قلْتَ: كيف يكون الواحدُ أكثر من الجمع. قلْتُ: لأنّه إذا أريد بالواحدِ الجنسُ- والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلّها- لم يخرج منه شيء. فأمّا الجمع فلا يدخل تحته إلا ما فيه الجنسيّة من الجموع))(٣٩)، فيتحقّق معنى إقامة الصّلاة كلّها، وكذلك الزّكاة، والأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، إذ لكلّ منهما شروط تختلف عن الأخرى، ولا بدّ من تأكيد حقائقها الإلهيّة، فما أكثر من يدّعي بالإسلام، وبإقامة الأحكام، ولكنّ الله تعالى يريد صفةً خاصّةً من هذه الأحكام، وهذه الصّفة هي الّتي وجدت عند أهل البيت (عليهم السلام)، فالإمام الحسين (عليه السلام) كان يصلّي، والجيش الّذي قاتله كان يصلّي أيضاً، ولكن شتّان بين الصّلاتين، إذاً فإفراد لفظ الصّلاة هو لبيان حقيقتها؛ وكذلك الزّكاة، والأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر؛ وهذا الأمر يحمل دلالة التّحفيز للزّائر على الأعمال العباديّة والتّركيز على أهمّيّتها للإتيان بها بصورتها المثلى.

وقد ورد الإفراد أيضاً في مواضع أخرى كان الانتقال فيها من الجمع إلى الإفراد، مثل قوله (عليه السلام): ((وَأَنا مِنْ مُوالِيكُمُ الَّذينَ أُعادي عَدُوَّكُمْ وَأُوالي وَلِيَّكُمْ))(٤٠)، وقوله (عليه السلام): ((اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ تَنْصُرُهُ، وَتَنْتَصِرُ بِهِ، وَتَمُنُّ

عَلَيْه بِنَصْرِكَ لِدِينِكَ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ))(٤١)، فقد تحوّل من الجمع إلى الإفراد، وكان سياق الكلام يقتضي أن يقول: ((الذين يعادون أعداءكم...))، و((اجعلنا ممّن تنصرهم وتنتصر بهم))، ولكنّه أفرد لغاية دلاليّة دقيقة، وهي أنَّ إعلان البراءة والموالاة مطلوبة من كلّ فرد، ولا يكتفى من الولاء والبراءة الجماعيّة مع أهمّيّتها، فلو أتى بها جمعاً لم يكن فيها دلالةٌ على أنَّها مطلوبة من كلّ فرد، بل أفردها ليدلَّ على أنّها مطلوبة من كلّ فرد فرد.

والأمر نفسه مع مفهوم النّصرة، فقد قال في الزّيارة: ((ونُصْرَتي لَكُمْ مُعَدَّةٌ))(٤٢)، وجاء بها بالإفراد، فهي مطلوبةٌ من كلّ فرد، وليست أمراً جماعيّاً؛ فقد ينتصر بعدد قليل، ولكنّه يريد أن يكون كلّ مؤمن هو ممّن ينتصر به، ولا يراد انتصاراً بشكل عامّ، وبناءً عليه فالواجب على الجميع أن يجدّوا للقيام بهذه النّصرة بكلّ أفرادهم، وأن لا يكتفوا بمن يقوم بها، ويؤدّيهم هذا الاكتفاء عن القعود عن طلبها، وهذا ما أفاده الإفراد في النّصِّ المبارك، ولم يكن له هذا المفهوم الدّلاليّ لو جاء بها جمعاً بحسب ما يرى الباحث.

وقد استعملت صيغة الإفراد لأجل بيان الضّعف النّاشئ لدى الزّائر؛ إذ يرى صغر نفسه، وتصاغر قيمته حين يقف بين يديّ المزور، يخاطب الله، ويتعبّد إليه، ويشعر بالانكسار الكامل، ويشعر بضياع العمل، وذلك حين يكون منفرداً لوحده، أمّا إذا كانت معه جماعة فلا يشعر بهذا الشّعور، لذلك يصوّر نفسه في حال الإفراد، ويصف حاله منفرداً عمّن سواه، قال (عليه السلام) في الزّيارة: ((رَبِّ، أَفْحَمَتْني ذُنوبي، وَقُطِعَتْ مَقالَتي، فَلا حُجَّةَ لي وَلا عُذْرَ لي، فَأنا الْمُقِرُّ بِذُنوبي، الأَسيرُ بِبَلِيَّتي، الْمُرْتَهَنُ بِعَمَلي، الْمُتَجَلِّدُ(٤٣) في خَطيئَتي، الْمُتَحَيِّرُ عَنْ قَصْدي، الْمُنْقَطِعُ بي))(٤٤)؛ فالزّائر يعترف بأنّه وحيدٌ، مقرٌّ، أسيرٌ، مرتهنٌ، متجلّدٌ في الخطيئة، متحيّرٌ عن القصد، وهذا الشّعور صعبٌ جداً حين يكون منفرداً عن غيره، ويؤدّي به إلى تهذيب نفسه، وإصلاح

عمله.

وقال (عليه السلام) في نص آخر من الزّيارة: ((فَقَدْ عَظُمَ جُرْمي إذا ارْتَعَدَتْ فَرائِصي، وَأُخذَ بِسَمْعي وَأَنا مُنَكِّسٌ رَأْسي بِما قَدَّمْتُ مِنْ سوءِ عَمَلي، وَأَنا عارٍ كَما وَلَدَتْني أُمّي، وَرَبّي يَسْأَلُني))[٤٥]، وهذا الشّعور بهذا الانفراد المطلق يولّد طاقةً إيجابيّةً للعمل في الدُّنيا بما يرضي الله تعالى عنه، وإلا سيؤدّي به عمله - الّذي قد يكون عملاً سيّئاً، أو قد لا يكون مرضياً للنّفس الإنسانيّة حين تقف في محضر الله تعالى، وترى جلاله وعظمته - إلى خسارة الدُّنيا والآخرة.

وهذا كلّه أفاده الإفراد في صيغ الكلمات، ولولا هذا الإفراد لم يكن ليعطي هذا المعنى، فقد حسَّنَ لفظ الواحد هنا أنَّه موضعُ إضعافٍ للعبد، وإقلالٌ له، وإشعارُهُ بالتّقصير في أداء ما أوجب الله عليه؛ ولم يأتِ به جمعاً؛ لأنَّ الجماعة على كلّ حال هي أقوى من الواحد[٤٦]، ويعتقد الباحث أنَّه لو أتى به جمعاً لم يتولّد لديه الشّعور التّصحيحيّ الّذي سيؤدّي به إلى تصحيح عمله، وجعله منسجماً مع إرادة الله تعالى مع ما نصّت عليه المنظومة الإسلاميّة.

ثانياً: الجمع:

كما كان الأمر في الإفراد بمخاطبة الجمع بالإفراد، أو الإتيان بالألفاظ حقيقة، فالأمر هنا كذاك؛ فقد تأتي الألفاظ بصيغة الجمع، والمراد منها الإفراد، وقد يكون الجمعُ حقيقةً، وهو ما يؤدّي أيضاً إلى دلالات أخرى بحسب السّياق الوارد فيه.

وإنَّ من ((سنن العرب مخاطبة الواحد بلفظ الجميع، فيقال للرّجل العظيم: انظروا في أمري))[٤٧]، وربّما وصفوا الواحد بالجمع أيضاً[٤٨]، وقد أقام الثّعالبيّ (٤٢٨هـ) فصلاً بعنوان (فصل في الجمع يُراد به الواحد) وقال: ((من

سنن العرب الإتيانُ بذلك))(٤٩)، وكلّ هذا لأجل تعظيمه وإجلاله والرّفع من قدره.

وأحسن دلالة يجدها الباحث في ما ورد في استعمال الجمع في نصوص الزّيارات هو استعماله للتّعظيم لمقام المزور، وهو يستحقّ التّعظيم كلّه، فهو ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهو حجّة الله، وهو خامس أصحاب الكساء...

فممّا جاء في هذا الباب من الزّيارات قوله (عليه السلام): ((يا لَيْتَني كُنْتُ مَعَكُمْ فَأفوزَ فَوْزاً عَظيماً))(٥٠)، فجمع في موقع الإفراد تعظيماً للمقام الّذي هو فيه، والدّرجة الّتي حصل عليها.

وكقوله (عليه السلام): ((صَلّى اللهُ عَلَيْكَ يا أَبا عَبْد الله - ثلاثاً -، صَبَرْتَ وَأَنْتَ الصّادقُ الْمُصَدِّقُ، قَتَلَ اللهُ مَنْ قَتَلَكُمْ بالأَيْدي وَالأَلْسُنِ))(٥١)، ومثلها قوله (عليه السلام): ((لَعَنَ اللهُ قاتلَكَ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ اسْتَخَفَّ بحَقِّكُمْ وَقَتَلَكُمْ، لَعَنَ اللهُ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ وَمَنْ مَضى، نَفْسي فِداؤُكُمْ وَلمَضْجَعكُمْ، صَلّى اللهُ عَلَيْكُمْ وَسَلَّمَ تَسْليماً))(٥٢)، وقوله (عليه السلام): ((وَقَدْ أَشْخَصْتُ بَدَني، وَوَدَّعْتُ أَهْلي، وَبَعُدَتْ شُقَّتي، وَأُؤَمِّلُ في قُرْبكُمُ النَّجاةَ، وَأَرْجو في أَيّامكُمُ الْكَرَّةَ، وَأَطْمَعُ في النَّظَرِ إِلَيْكُمْ وَإِلى مَكانكُمْ غَداً في جنانِ رَبّي مَعَ آبائكُمُ الْماضينَ))(٥٣)، وقوله (عليه السلام): ((وَأَسْأَلُ اللهَ الَّذي أَراني مَكانَكَ وَهَداني للتَّسْليم عَلَيْكَ وَلزيارَتي إِيّاكَ أَنْ يوردَني حَوْضَكُمْ وَيَرْزُقَني مُرافَقَتَكُمْ في الْجِنانِ مَعَ آبائِكَ الصّالحينَ))(٥٤).

فقد كان الخطاب مفرداً فيها موجّهاً إلى سيّد الشّهداء (عليه السلام)، ثمّ تحوّل بعد ذلك إلى الجمع إعظاماً وتكريماً وإجلالاً لمقامه (عليه السلام)، وقد كان كلٌّ من النّصوص يحمل معنى معيّناً، فأحدها يبيّن الحرمة العظيمة بقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، وآخر يبيّن عظمة الولاء والبراءة، وثالث يوضّح منزلتهم العظيمة في الدّنيا، ثمّ منزلتهم الأسمى في الآخرة، ويتمنّى شرف الحصول عليها، وورود

الحوض مع المطهّرين من آبائه الصّالحين في ذلك المكان الّذي {لا يَسْمَعونَ فيها لَغْواً ولَا تَأْثيماً ❖ إلا قيلاً سَلاماً سَلاماً}(٥٥).

وبناءً على هذا، فالجمع لم يأتِ من دون دلالة تعظيميّة، بل جاء بعد المعرفة بالمقام العظيم للإمام الحسين (عليه السلام)؛ ولذلك قال ابن السِّيد البطليوسيّ (٥٢١هـ) في التّعظيم: ((الرّجل الجليل القدر، النّبيه الذّكر، ينوب وحده مناب جماعة، ويُنزَّلُ منزلة عدد كثيرٍ، في علمه، أو في فضله ورأيه))(٥٦).

إنّ ما تقدّم من الخطاب يخصّ بشكله اللّفظيّ الإمام الحسين (عليه السلام) تعظيماً له، وقد ورد في الزّيارات خطاب بالإفراد للإمام الحسين (عليه السلام)، ثمَّ انتقل بعده إلى خطاب الجمع الدّال على أهل البيت (عليهم السلام) جميعاً، كقوله (عليه السلام): ((وأَنَّكَ عَبَدْتَهُ حتّى أتاكَ الْيقينُ، أَشْهَدُ أَنَّكُمْ كَلِمَةُ التَّقْوى، وَبابُ الْهُدى، وَالْحُجَّةُ عَلى خَلْقِه. أَشْهَدُ أَنَّ ذَلكَ لَكُمْ سابِقٌ فيما مَضى، وَفاتِحٌ فيما بَقِيَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ أَرْواحَكُمْ وَطينَتَكُمْ طينَةٌ طَيِّبَةٌ...))(٥٧)، وكقوله (عليه السلام): ((مَنْ أَرادَ الله بَدَأَ بِكُمْ، بِكُمْ يُبَيِّنُ الله الْكَذِبَ، وبِكُمْ يُباعِدُ الله الزَّمانَ الْكَلِبَ، وبِكُمْ فَتَحَ اللهُ، وبِكُمْ يَخْتِمُ الله...))(٥٨)، وكقوله (عليه السلام): ((إِرادَةُ الرَّبِّ في مَقَادِيرِ أُمُورِه تَهْبِطُ إِلَيْكُمْ، وتَصْدُرُ مِنْ بُيُوتِكُمْ، والصّادرِ عَمّا فَصَلَ مِنْ أَحْكَامِ الْعِبادِ، لُعِنَتْ أُمَّةٌ قَتَلَتْكُمْ، وأُمَّةٌ خالَفَتْكُمْ، وأُمَّةٌ جَحَدَتْ وَلايَتَكُمْ، وأُمَّةٌ ظَاهَرَتْ عَلَيْكُمْ))(٥٩)، وكقوله (عليه السلام): ((يا مَوْلايَ، آمَنْتُ بِسِرِّكُمْ وَعَلانِيَتِكُمْ، وَظاهِرِكُمْ وَباطِنِكُمْ، وَأَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ))(٦٠).

إنَّ هذه النُّصوص تؤكّد على أنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) هو واحدٌ من الشّجرة المباركة الّتي تمثّل الإسلام تمثيلاً كاملاً، قلباً وقالباً، مفهوماً ومصداقاً، بل ((إنّه الإسلامُ الحيُّ))(٦١)، ولا عجب من ذلك؛ فهو من رسول الله، ورسول الله منه، كما صرّح بذلك جدّه العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم): ((حسينٌ منّي وأنا من حسين))(٦٢).

إنَّ هذا الجمع اللّفظيّ أراد أن لا يعزل الإمام الحسين (عليه السلام) عن أهل بيته الأطهار البررة الأخيار، وإن خصّه في البداية فلأنَّ أصل الزِّيارة هي له (عليه السلام)، وإنّما أراد من خلال الجمع التّأكيد على ما تمَّ تأكيده من خلال الإفراد أنّهم جنسٌ واحدٌ من نورٍ واحدٍ لا فرق بينهم إلا بأشخاصهم وأعلامهم، ولذا فإنَّهم (عليهم السلام) عندما كانوا يتكلّمون عن مقاماتهم الّتي منحها الله لهم لم يفردوا اللّفظ، بل كانوا يتحدّثون بلغة الجمع، فقالوا: (نحن) و(إيّانا)[٦٣]، دلالة على أنّهم كلّهم بمرتبة واحدة في مقامهم الإلهيّ، وقد سُئِلَ الإمام الباقر (عليه السلام): هل هو القائم؟ وهل هو المهديّ؟ وهل هو صاحب السّيف؟ فكان جوابه (عليه السلام): ((كلّنا قائمٌ بأمر الله... كلّنا نهدي إلى الله... كلّنا صاحبُ السّيفِ، ووارثُ السّيفِ))[٦٤].

وقد وردت نصوصٌ كثيرةٌ في الزّيارات بمدحهم والإشادة بمقامهم بعد ذكرهم، أو الإشارة إليهم، فيكون الجمع حقيقيّاً، إلا أنَّ ما تقدّم من نصوص هي الّتي تمثل الانتقال من الإفراد إلى الجمع.

إنَّ هذا الأسلوب من الخطاب (الانتقال من المفرد إلى الجمع) هو أسلوبٌ قرآنيٌّ بليغ ذكره الزّركشيّ (٧٤٣هـ) ضمن أنواع (معرفة وجوه المخاطبات والخطاب في القرآن)، وسمّاه (خطاب الجمع بعد الواحد)[٦٥]، وجعل منه قوله تعالى: {وَما تَكونُ في شَأْنٍ وَما تَتْلو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلونَ مِنْ عَمَلٍ إلا كُنّا عَلَيْكُمْ شُهوداً إِذْ تُفيضونَ فيهِ}[٦٦]، إذ أفرد في أوّل فعلين (تكون، تتلو)، وجاء بالفعل الثّالث جمعاً (تعملون)، وقد نُقِلَ عن ابن الأنباريّ (٥٧٧هـ) أنّه قال عن هذه الآية المباركة: ((إنّما جَمَعَ في الفعل الثّالث ليدلَّ على أنّ الأمة داخلون مع النّبيّ (صلى الله عليه وآله) في الفعلين الأوّلين))[٦٧].

فالهدف من هذا الأسلوب هو الوصول إلى الجماعة، قال ابن جنّي (٣٩٢هـ): ((إنَّ من قدّم الإفراد، ثمّ عقّب بالجمع أشبه لفظاً؛ لأنّه جاور

بالواحد لفظ الواحد.. ثمّ عقّب بالجماعة؛ لأنّها هي الغرض))(٦٨).

إذاً فالغرض من هذا الانتقال إلى الجمع هو شمول جميع الأئمّة (عليهم السلام)؛ لأنَّهم خطٌّ واحدٌ، وامتدادٌ واحدٌ.

وعلى هذا النّسق وللغرض نفسه وردت نصوص أخرى، ولكنّها جاءت للجمع حقيقةً كما تقدّم، وصرَّحت بهم، منها قوله (عليه السلام): ((جِئْتُكَ انْقطاعاً إِلَيْكَ، وَإِلى جَدِّكَ وَأَبيكَ وَوَلَدكَ الْخَلَف منْ بَعْدكَ، فَقَلْبي لَكُمْ مُسَلِّمٌ، وَرَأْيي لَكُمْ مُتَّبَعٌ، وَنُصرَتي لَكُمْ مُعَدَّةٌ، حَتّى يَحكُمَ اللهُ بدينه وَيَبْعَثَكُمْ))(٦٩)، ومنها قوله (عليه السلام): ((اللَّهُمَّ، أَتْممْ بِهِمْ كَلماتَكَ، وَأَنْجِزْ بِهِمْ وَعْدَكَ، وَأَهْلِكْ بِهِمْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَجْمَعينَ، اللَّهُمَّ أَجْزِهِمْ عَنّا خَيْرَ ما جَزَيْتَ نَذيراً عَنْ قَوْمِه))(٧٠)، وقوله (عليه السلام) في زيارة عليّ بن الحسين (عليه السلام): ((السَّلامُ عَلَيْكَ يا ابْنَ رَسولِ اللهِ وَابْنَ أَميرِ الْمُؤْمنينَ وَابْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ، لَعَنَ اللهُ قاتِلَكَ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ اسْتَخَفَّ بِحَقِّكُمْ وَقَتَلَكُمْ، لَعَنَ اللهُ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ وَمَنْ مَضى، نَفْسي فِداؤُكُمْ وَلِمَضْجَعِكُمْ، صَلّى اللهُ عَلَيْكُمْ وَسَلَّمَ تَسْليماً))(٧١).

ومن ضمن التّعظيم في نصوص الزّيارات ما أتى لأبي الفضل العبّاس (عليه السلام) (٧٢) الّذي ورد في زيارته تعظيمٌ كبيرٌ جداً، فقد قال الإمام الصّادق (عليه السلام) في زيارته: ((أَشْهَدُ أَنَّكَ قُتِلْتَ مَظْلوماً، وَأَنَّ اللهَ مُنْجِزٌ لَكُمْ ما وَعَدَكُمْ، جِئْتُكَ يا ابْنَ أَميرِ الْمُؤْمنينَ وافداً إِلَيْكُمْ، وَقَلْبي لَكُمْ مُسَلِّمٌ، وَأَنا لَكُمْ تابِعٌ، وَنُصْرَتي لَكُمْ مُعَدَّةٌ، حَتّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحاكمينَ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لا مَعَ عَدُوِّكُمْ إِنّي بِكُمْ وَبِإِيابِكُمْ مِنَ الْمُؤمِنينَ، وَبِمَنْ خالَفَكُمْ وَقَتَلَكُمْ مِنَ الْكافِرينَ، قَتَلَ اللهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ بِالأَيْدي وَالأَلْسُنِ))(٧٣)، فهو عظّمه تعظيماً واضحاً من خلال مخاطبته بصيغة الجمع في العبارات كلّها، وحَقٌّ للعبّاس (عليه السلام) هذا التّعظيم، فإنّه وصل إلى درجة عالية من الإيمان بالله، والتّصديق به تعالى،

والتّسليم، والوفاء، والنّصيحة لأخيه الإمام الحسين (عليه السلام) ممّا رفع منزلته عند الله تعالى؛ فقد ورد في منزلته حديث عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) قال فيه: ((رحم الله العبّاس... فلقد آثر، وأبلى، وفدى أخاه بنفسه، حتّى قُطعَتْ يداه، فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنّة كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإنّ للعباس عند الله تبارك وتعالى لمنزلةً يغبطه بها جميع الشّهداء يوم القيامة))(٧٤).

ولما تقدّم كلّه جاءت مخاطبة العبّاس (عليه السلام) في زيارته بالجمع تعظيماً له، وجاءت زيارته بالشكل المتقدّم لـ ((تنمّ عن سموّ منزلة العبّاس، وعظيم مكانته))(٧٥).

الموضع الثّاني من مواضع الجمع في نصوص الزّيارات هو جمع الدّاعي الزّائر، ومن المعلوم أنّ الزائر هو واحد فقط، ولغة الجمع تطلق في موارد الجماعة، مثل قوله (عليه السلام): ((اللّهُمَّ إنّا أَتَيْناهُ مُؤْمنينَ به، مُسَلِّمينَ لَهُ، مُعْتَصمينَ بحَبْله، عارفينَ بحَقّه))(٧٦)، وقوله (عليه السلام): ((اللّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، واحْفَظْنا بحفْظ الإيمان، واحْفَظْ عَلَيْنا، اللّهُمَّ اجْعَلْنا في حرْزكَ، ولا تَسْلُبْنا نعْمَتَكَ، ولا تُغَيِّرُ ما بنا منْ عافيَتك، وَزدْنا منْ فَضْلكَ، إنّا إلَيْكَ راغبونَ))(٧٧)، وقوله (عليه السلام): ((واكْتُبْنا في أَوْليائه وأَحبّائه، اللّهُمَّ اجْعَلْنا لَهُ شيعَةً وأَنْصاراً، وأَعْواناً على طاعَتكَ وَطاعَة رَسولكَ))(٧٨)، وقوله (عليه السلام): ((اللّهُمَّ اجْعَلْنا ممَّنْ يَتَّبعُ النّورَ الَّذي أُنْزلَ مَعَهُمْ، وأَحْينا مَحْياهُمْ، وأَمتْنا مَماتَهُمْ))(٧٩).

إنّ هذه الموارد في الجمع هي لجعل الدّعاء هدفاً لنيل المقامات المعنويّة الرّوحيّة العالية، والدّرجات الرّفيعة، والمنازل السّامية عاماً غير خاصّ بالزّائر، بل يريد الزّائر أن يعمّ بقيّة المؤمنين معه في دعائه؛ فهو يؤكّد كونه واحداً من الجماعة المسلمة، وليس فرداً منقطعاً عنها، فمن المكوّنات الأساسيّة للحياة

الإنسانيّة هو الطّبيعة الاجتماعيّة، فالإنسان ابن مجتمعه؛ أضف إلى ذلك أنَّ هذا الأمر هو من أخلاق المؤمنين ((إذ المؤمن بطبعه لا يحبُّ الانفراد بالخير، ولا يسعد بالعيش منعماً مع حرمان إخوانه وأهليه))(٨٠)، فالنّصُّ يؤكّد على أهمّيّة الجماعة الإسلاميّة على قاعدة ((أحبب لغيرك ما تحبُّ لنفسك، واكره له ما تكره لها))(٨١).

وهذا يخرج الإنسان من الأنانيّة إلى رحاب الجماعة، ومن حبّ الخير للنّفس فقط إلى حبّ الخير للجميع؛ فيتحلّى حينها بالمشاركة الوجدانيّة الّتي هي ((الشّعور الجماعيّ بدلاً عن الشّعور الفرديّ، أي الشّعور بـ (نحن) بدلاً عن الشّعور بـ (أنا)، وينتج ذلك تداعي المؤمن للمؤمن في آلامه وأفراحه وأحزانه. عن الصّادق (عليه السلام): ((المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد، إن اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده، وأرواحهما من روح واحدة، وإنَّ روح المؤمن لأشدّ اتّصالاً بروح الله من اتّصال شعاع الشّمس بها))(٨٢)، وهذا يعني أنّ الصّلة العاطفيّة بين المؤمنين نابعةٌ من صلتهم العاطفيّة بالله تعالى)) (٨٣).

وهذا ما قصد الإمام الصّادق (عليه السلام) إلى إظهار دلالته من صيغة الجمع في الدّعاء في الزّيارات، ليجعل المؤمنين يعيشون في أجواء روحانيّة غارقة بالرَّحمة في أخوّة إيمانيّة، يجمعهم خير الآباء آدم، وخير الأديان الإسلام، وينزّههم عن النّفعيّة، والمصلحيّة، والأنانيّة؛ فصيغة الجمع في الدّعاء والزّيارة تجعل الدّاعي ((لا يسعى إلى الانفراد بمغنم، بل يجد أنسه ولذّته بين إخوانه، يقطفون معه ثمار ما زرع وزرعوا معه، وهو في سعيه للآخرة يطلبها بتعاونه مع الجماعة، وحرصه على إشاعة الخير فيها، يحرّك بسعيه دوافع الخير في مجتمعه، ويفجّر طاقات العمل الصّالح في أمّته، ومن ثمّ يتقاسم الجميع منائح الرّضا والثّناء من ربّهم))(٨٤).

إضافة إلى أنّ الجمع في الأدعية والزّيارات هي من آداب الدّعاء، فقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((إذا دعا أحدكم فليعمّ، فإنّه أوجب للدّعاء))(٨٥)، وقد ورد في شرح الحديث أنّ معنى (يعمّ): ((أي يُدْخِل المؤمنين في دعائه، وظاهره الدّخول في اللّفظ، ففيه رخصة لتغيير الدّعوات المنقولة من لفظ المتكلّم مع الغير))(٨٦)، فروح الجماعة إن تحقّقت تجيز تغيير بعض النّصوص من الإفراد إلى الجمع؛ لكي ينطبق ما تقدّم من معان.

تأسيساً على ما تقدّم فإن ذكر الجمع في الدّعاء هو من باب الأنس والاستئناس، أي يستأنس الدّاعي بذكر الجماعة، ولعلّ من باب الاستئناس هذا ما ورد في الزّيارات نفسها كقوله (عليه السلام): ((فَمَكانُكُما عِنْدَ اللهِ مَعَ آبائِكَ الْماضِينَ، وَمَعَ أُمَّهاتِكَ فِي الْجِنانِ مُنَعَّمينَ))(٨٧)؛ فبداية النّصّ هي بصيغة المثنى، ولكنّ النّهاية وردت بصيغة الجمع؛ لأنّ الجمع فيه استئناس بما سيحصل عليه في الجنان من النّعيم الجماعيّ، وليس النّعيم المفرد، وهذا النّعيم الجماعيّ يوحي بدرجة أكبر من البشارة للمؤمن، فهو يتمتّع بما ينعم به الآخرون من آبائه وأمّهاته وأبنائه، بل ومن يعرفهم ويتولاهم؛ وذِكْرُ النّعيم الجماعيّ في الآخرة، وما يقابله من الإفراد في صور التّعذيب جاء في عدد من الآيات المباركة في القرآن الكريم(٨٨)، فالإمام الصّادق (عليه السلام) استعمل الأسلوب القرآنيّ في بناء الزّيارة الّذي هو أسمى أسلوب عرفته البلاغة العربيّة وأرفعه.

ومن المواضع الأخرى في نصوص الجمع هو جمع العتاة والكفرة والمنافقين والطّواغيت لشمولهم بحكم واحد كما في قوله (عليه السلام): ((اللّهُمَّ الْعَنْ جَوَابِيتَ هَذه الأُمَّة، والْعَنْ طَوَاغيتَهَا، والْعَنْ فَرَاعنَتَهَا، والْعَنْ قَتَلَةَ أَميرِ الْمُؤْمنِينَ، والْعَنْ قَتَلَةَ الْحُسَيْنِ، وَعَذِّبْهُمْ عَذَاباً لا تُعَذِّبُ بِه أَحَداً مِنَ الْعَالَمينَ))(٨٩)، وكقوله (عليه السلام): ((وَأَشْهَدُ أَنَّ الَّذينَ انْتَهَكوا حُرْمَتَكَ، وَسَفَكوا

دَمَكَ مَلْعونونَ عَلى لِسانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ))[٩٠].

فقد جمع مفردات (جوابيت، طواغيت، فراعنة، قتلة)، وكذلك أسند الانتهاك والسَّفك إلى جماعة، ولم يسندها إلى فرد معيّن، لكي يعمّ بها أيّ نوع من الجبت والطّاغوت والفرعون، وأيّ منتهك وأيّ سافك لدم محرّم، فإنّ هؤلاء الملعونين متعدّدون في الصّور والأساليب، متجدّدون على مرّ الزمان، متلوّنون بحسب مصالحهم؛ تجمعهم الإثرة، والتّسلّط، والظّلم؛ وبالنّتيجة فإنّ من يتميّز بصفات هؤلاء سوف يشمله اللّعن، وكذلك من اشترك في قتل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) والإمام الحسين (عليه السلام) بأيّ نوع من أنواع القتل المادّيّ أو المعنويّ، أو رضي بذلك، أو سمع بذلك من دون اتّخاذ موقف، كما بيّنت بعض النصوص، كلّ هؤلاء يشملهم حكمٌ واحدٌ، وهو لعنهم، فالجمع استعمل هنا لإرادة الشّمول والعموم للصّنف الواحد.

ومن ألفاظ الجمع الّتي وجدها الباحث ما ورد في باب المبالغة من خلال الجمع، وأظهر مثال لها قوله (عليه السلام): ((وبَكَتْ لَهُ السَّماوَاتُ السَّبْعُ، والأَرَضُونَ السَّبْعُ))[٩١]، فقد جمع الأرض، وحدّد عددها بسبع، مقابلاً لها بعدد السّماوات، وهو خلاف ما ورد في القرآن الكريم الّذي يأتي بالسّماوات جمعاً وبالأرض مفردة.

وقد يشكل على القارئ أنّ هذا النّصّ هو ابتعاد عن الأسلوب القرآنيّ المتّبع والسّائد في بقية النّصوص، ولكنّ الجواب يكمن في أنّ النص هنا يعمد إلى المبالغة وإلى عظمة الصّورة من البكاء، وقد اقتضت هذه المبالغة أن يأتي بها جمعاً، ولو لم يأت بها جمعاً لما كان لها هذا الوقع المؤثر في المبالغة والجمع، وهي زيادة التّفظيع وشدّة الحادثة الّتي حصلت في ذلك اليوم؛ والأخبار الواردة في عظم ذاك اليوم وبكاء السّماوات والأرض كثيرة جدّاً؛ كاحمرار السّماء، واسوداد الأرض، ونزول المطر دماً، واضطراب الكواكب،

ونضح الدّم من كلّ حجرٍ في الأرض، وغيرها[٩٢] ممّا ذكره جمهور المسلمين فضلاً عن الشّيعة، إذاً فالجمع في كلمة (الأرضون السّبع) هو ما أعطى دلالة موافقة للمعنى العظيم المتقدّم، على أنَّ الرسول (صلى الله عليه وآله) وهو أفصح الخلق استعمل هذه اللّفظة جمعاً أيضاً وذلك في قوله (صلى الله عليه وآله): ((من ظلم من الأرض شبراً، طُوِّقَهُ من سبع أرضين))[٩٣]، وتعليل جمعها هو المبالغة أيضاً[٩٤].

والمورد الثّاني الّذي ورد للمبالغة هو قوله (عليه السلام): ((وَبِكُمْ تُنبِتُ الأَرْضُ أَشْجَارَهَا، وَبِكُمْ تُخْرِجُ الأَشْجَارُ أثْمارَها))[٩٥]، فقد جمع الأشجار والأثمار للدّلالة على كلّ أنواع الشّجر والثّمر، لتنوعّها وتنوّع صورها، ولا يحصرها في نوع واحد منها، والنّكتة الدّلاليّة اللّطيفة أنَّه جاء بعدها بقوله (عليه السلام): ((وَبِكُمْ تُنْزِلُ السَّماءُ قَطْرَهَا وَرِزْقَها))[٩٦]، فأفرد، ولم يجمع؛ للدّلالة على أنَّ القطر والرّزق النّازل من السّماء هو واحد، الكلّ متساوون فيه، ولكن كلّ يأخذ بحسب ظرفه ووعائه ووعيه.

إذاً فالإفراد والجمع في نصوص الزّيارات كان لغايات دلاليّة معيّنة، ولم يكن من دون قصد، ممّا يعطي دليلاً على أنَّ المفردات في نصوص الزّيارات مقصودة بألفاظها ترسيخاً للمقامات العقائديّة والاجتماعيّة والسّياسيّة والأخلاقيّة وغيرها.

ملخّص البحث:

إنَّ بناء المفردة العربيّة لم يكن بناءً اعتباطيّاً من دون هدف في بنائه، فإنَّ أيّ تغيّر فيها هو لقصد يرمي إليه المنشئ في النّصِّ، فما البناء إلا لغاية؛ فإذا أفرد المفردة أو ثنّاها أو جمعها، فهو لغاية دلاليّة فيها، وهذه الغاية الدّلاليّة خاضعة للسياقات الكلاميّة الواردة فيها من حيث حال المتكلّم والظرف الذي هو فيه، ومن حيث حال المتلقي، فقد يخرج هذا الإفراد إلى دلالة الوحدة مرة، وإلى دلالة التعظيم أخرى، والأمر نفسه في الجمع، وهذا ما وجده البحث في

ثنايا زيارات الإمام الحسين (عليه السلام)، فإنَّ إفراد الكلمة من قبل المتكلّم قد تدل على التّفرّد بالعظمة والتّوحيد المطلق كما هو الحال في الألفاظ الدّالّة على الذات الإلهيّة، وإن جمع الكلمة في مخاطبة العظماء تدلُّ على التّكريم والتّعظيم لهم.

الخاتمة:

١- الإفراد والجمع يأتي لدلالات معيّنة وهو لابد أن يكون لقصد دلالي يهدف إليه المنشئ.

٢- الإفراد في الألفاظ الّتي ترتبط بلفظ الجلالة والذات الإلهيّة، تدل على التوحيد الإلهيّ، وأنَّ المنشئ والمتلقي يشعر بحقيقة التوحيد وهو يتكلم بالألفاظ المفردة.

٣- أفاد الإفراد في موقع الجمع في الألفاظ الدالة على أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أنَّهم في خط وهدف واحد لا يختلف فيهم إلا أعلامهم وأشخاصهم.

٤- رصد البحث أنَّ الإفراد يفيد بيان حقيقة الشيء والقصد فيه بيان هذه الحقيقة.

٥- في الألفاظ المجموعة تكون الدلالة الرئيسة فيها هو التعظيم للمخاطب، والاحترام له، والتنويه والإشادة بفضله.

٦- لحظ البحث أن الجمع في موقع الإفراد يهدف إلى عدم عزل المخاطب أو المتكلَّم عنه عن غيره، وشموله معه في الحكم ذاته.

٧- إن الجمع في الدّعاء يدلُّ على أن المؤمن لا يحب الانفراد بالخير لنفسه فقط، بل هو يدعو لنفسه ولغيره.

هوامش البحث:

(١) همع الهوامع: ١١٩/١.

(٢) الخصائص: ٤١٩/٢.

(٣) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: كتاب سيبويه: ٤٦/١، و١٩١/١، و٣٣/٢، و٤٧٦/٣؛ معاني القرآن، الفرّاء: ٧٨/٣؛ تأويل مشكل القرآن: ٢٨٢-٢٨٦؛ الكامل: ٧٩٥/٢؛ المقتضب: ١٦٩/٢؛ المحتسب: ١٨٧/١-١٨٨، و٢٠٢/١، و٨٧/٢؛ وغيرها...

(٤) كتاب سيبويه: ١٩١/١.

(٥) كتاب ليس في كلام العرب: ٤٧.

(٦) الصّاحبيّ: ٣٦٢؛ ينظر: المزهر: ٣٣٣/١.

(٧) فقه اللّغة وسرّ العربيّة: ٥٧١/٢، تحقيق: خالد فهمي.

(٨) الكافي: ٣٠٢/٩-٣٠٣، النّصّ: ١.

(٩) المصدر نفسه: ٧٢٠، النّصّ: ٢١.

(١٠) مصباح المتهجّد: ٧٢١، النّصّ: ٢١.

(١١) الرّوض الأنف: ١١/٣، تحقيق: مجدي الشّوري.

(١٢) الأنبياء: ٢٢.

(١٣) الحِجْر: ٢٣.

(١٤) شرح التّسهيل: ٨٠/١-٨١؛ ينظر: التّسهيل: ١٤؛ التّذييل والتّكميل: ٣٠٧/١، و٣١٨/١؛ تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٣٦٢/١؛ موصل النّبيل إلى نحو التّسهيل: ٥٢؛ تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد: ٢٣٩/١؛ حاشية الصّبّان: ١٤٦/١-١٤٧.

(١٥) هو محمّد الخالص بن عنقاء الحسينيّ المكيّ: أديب نحويّ فقيه. كان شيخ الشّافعيّة في اليمن زمن المؤيّد محمّد بن القاسم (١٠٥٤هـ) له تصانيف، منها (غرر الدّرر)، شرح لمنظومة العمريطي في النّحو، و(النّشر الورديّ في ملك بني عثمان والمهديّ)، و(الألواح في مستقرّ الأرواح)؛ ينظر: الأعلام: ١١٢/٦.

(١٦) الكواكب الدّريّة على متمّمة الآجرّوميّة: ١٥٥-١٥٦.

(١٧) ينظر: الكشّاف: ٢٠٢/٣.

(١٨) تهذيب الأحكام: ١٢٦/٦، النّصّ: ٢٠؛ مصباح المتهجّد: ٧٢١، النّصّ: ٢١؛ المزار الكبير: ٤٣١، النّصّ: ٢٣.

(١٩) الإعجاز البيانيّ في صيغ الألفاظ: ٤٢.

(٢٠) كامل الزّيارات: ٥٥٢-٥٥٣.

(٢١) أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) ودورهم في تحصين الرّسالة الإسلاميّة: ١٠٨.

(٢٢) الإعجاز البيانيّ في صيغ الألفاظ: ٤٣.
(٢٣) مريم: ٨٢.
(٢٤) الكهف: ٥٠.
(٢٥) شرح الرّضيّ على الكافية: ٢٨٩/٣.
(٢٦) الكافي: ٣٠١/٩-٣٠٢، النّصّ: ١.
(٢٧) المصدر نفسه: ٣٠٣/٩، النّصّ: ١.
(٢٨) يوسف: ١٠٨.
(٢٩) الكافي: ٣٠٦/٩، النّصّ: ١.
(٣٠) كامل الزّيارات: ٣٦٠، النّصّ: ٥.
(٣١) المصدر نفسه: ٣٨٨، النّصّ: ١٢؛ و٤٠٣، النّصّ: ١٦؛ تهذيب الأحكام: ١٢٧/٦، النّصّ: ٢٠.
(٣٢) الكافي: ٣١٣/٩، النّصّ: ٢.
(٣٣) كامل الزّيارات: ٣٦٢، النّصّ: ٥.
(٣٤) مصباح المتهجّد: ٧٢١ و ٧٢٢، النّصّ: ٢١.
(٣٥) ينظر: لسان العرب: ٣٨٧/١٣، مادة (لعن).
(٣٦) الكافي: ٣٠٣/٩، النّصّ: ١.
(٣٧) المصدر نفسه: ٣٠٤/٩، النّصّ: ١؛ كامل الزّيارات: ٣٧٦، النّصّ: ٧؛ و٣٨٣، النّصّ: ١٠، و٣٩١، النّصّ: ١٣؛ و٤٠٢، النّصّ: ١٦؛ و٥٢٥، النّصّ: ١٩؛ مصباح المتهجّد: ٧٢٠، النّصّ: ٢١؛ المزار الكبير: ٤١٤، النّصّ: ٢٢؛ و٤٣١؛ النّصّ: ٢٣.
(٣٨) الكامل: ٧٩٥/٢.
(٣٩) الكشّاف: ٣٣١/١.
(٤٠) كامل الزّيارات: ٤١٩، النّصّ: ١٦.
(٤١) الكافي: ٣٠٣/٩-٣٠٤، النّصّ: ١؛ كامل الزّيارات: ٤١٤، النّصّ: ١٦.
(٤٢) تهذيب الأحكام: ١٢٧/٦، النّصّ: ٢٠.
(٤٣) تَجَلَّدَ: أظْهَرَ الجَلَدَ، والتّجلُّد: تكلّف الجلادة، وهذا الجذر يعود إلى كلّ شيء قويّ وصلبٍ، والمعنى هنا: أسعى في خطيئتي بقوّةٍ، وصَلابةٍ، وجَهدٍ، وسعيٍ؛ وقد يجمعها

معنى (الإصرار المتعمّد)؛ ينظر: معجم مقاييس اللّغة: ٤٧١/١، مادّة (جلد)؛ لسان العرب: ١٢٦/٣، مادّة (جلد).

(٤٤) كامل الزّيارات: ٤١٠، النّصّ: ١٦.

(٤٥) المصدر نفسه: ٤١٢، النّصّ: ١٦.

(٤٦) ينظر: المحتسب: ٢٠٢/١.

(٤٧) الصّاحبيّ: ٣٦٤.

(٤٨) ينظر: المصدر نفسه: ٣٦٢؛ البرهان في علوم القرآن: ٣٦١/٢.

(٤٩) فقه اللّغة وسرّ العربيّة: ٥٧٢/٢.

(٥٠) كامل الزّيارات: ٣٨٣، النّصّ: ١٠.

(٥١) المصدر نفسه: ٤١٤، النّصّ: ١٦.

(٥٢) المصدر نفسه: ٤١٦، النّصّ: ١٦.

(٥٣) المصدر نفسه: ٤١٩، النّصّ: ١٦.

(٥٤) المصدر نفسه: ٤٣٨، النّصّ: ١٧.

(٥٥) الواقعة: ٢٥-٢٦.

(٥٦) الاقتضاب في شرح أدب الكُتّاب: ١٢٧/١.

(٥٧) كامل الزّيارات: ٤٠٦-٤٠٧، النّصّ: ١٦.

(٥٨) الكافي: ٣١١/٩-٣١٢، النّصّ: ٢.

(٥٩) المصدر نفسه: ٣١٢/٩-٣١٣، النّصّ: ٢.

(٦٠) المزار الكبير: ٤٢٣، النّصّ: ٢٣.

(٦١) ثورة الحسين في الوجدان الشعبيّ: ٩٦.

(٦٢) كامل الزّيارات: ١١٦؛ الإرشاد: ١٢٧/٢؛ مسند الإمام أحمد: ١٠٣/٢٩، ح/١٧٥٦١؛ سنن ابن ماجة: ٥١/١.

(٦٣) ينظر: الكافي: أبواب كتاب الحجّة، في المجلّدين الأوّلين.

(٦٤) الكافي: ٧٠٩/٢-٧١٠، ح/١٤١١.

(٦٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣٦٦/٢.

(٦٦) يونس: ٦١.

(٦٧) أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها: ١٢٢.

(٦٨) المحتسب: ٨٧/٢.

(٦٩) كامل الزّيارات: ٤٠٣، النّصّ: ١٦.

(٧٠) المصدر نفسه: ٤٠٥، النّصّ: ١٦.

(٧١) المصدر نفسه: ٤١٦، النّصّ: ١٦.

(٧٢) تعدُّ زيارة العبّاس (عليه السلام) من ضمن زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، وقد وردت هذه الزّيارة ضمن النّصوص المدروسة.

(٧٣) المزار، الشّهيد الأوّل: ١٦٢-١٦٣، النّصّ: ٢١.

(٧٤) كتاب الخصال: ٦٨/١.

(٧٥) موسوعة سيرة أهل البيت (عليهم السلام)، باقر شريف القرشيّ: ٤١/٣٧.

(٧٦) كامل الزّيارات: ٤١٧، النّصّ: ١٦.

(٧٧) مصباح المتهجّد: ٧١٧، النّصّ: ٢١.

(٧٨) كامل الزّيارات: ٤٠٤، النّصّ: ١٦.

(٧٩) المصدر نفسه: ٤٠٥، النّصّ: ١٦.

(٨٠) الإعجاز البيانيّ في صيغ الألفاظ: ٣١.

(٨١) نهج البلاغة: ٤٢٢، كتاب: ٣١.

(٨٢) الكافي: ٤٢٥/٣-٤٢٦؛ ح/٢٠٤٥.

(٨٣) نظرات في الإعداد الرّوحيّ: ٧٩-٨٠.

(٨٤) الإعجاز البيانيّ في صيغ الألفاظ: ٢٧.

(٨٥) الكافي: ٣٤١/٤-٣٤٢، ح/٣١٥٤.

(٨٦) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرّسول: ٧٨/١٢.

(٨٧) كامل الزّيارات: ٤١٦، النّصّ: ١٦.

(٨٨) ينظر: النّساء: ١٣-١٤، الإسراء: ١٧-١٨، الإسراء: ٧١-٧٢، طه: ٧٤-٧٥، الدّخان: ٤٣-٥٥، الحاقّة: ١٩-٢٦، ق: ٢١-٣٤.

(٨٩) الكافي: ٣٠٣/٩، النّصّ: ١.

(٩٠) كامل الزّيارات: ٤٠٧، النّصّ: ١٦.

(٩١) الكافي: ٣١٠/٩، النّصّ: ٢.

(٩٢) ينظر: الصّواعق المحرقة: ٥٦٨-٥٧٠.

(٩٣) مسند الإمام أحمد: ١٧٣/٣، ح/١٦٢٨؛ وينظر: ١٧٨/٣، ح/١٦٣٣؛ و١٨٢/٣، ح/١٦٣٩؛ و١٨٨/٣، ح/١٦٤٩.

(٩٤) ينظر: الإعجاز البيانيّ في صيغ الألفاظ: ٨٤-٨٥.

(٩٥) الكافي: ٣١٢/٩، النّصّ: ٢.

(٩٦) المصدر نفسه.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم، كتاب الله سبحانه وتعالى.
- أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) ودورهم في تحصين الرّسالة الإسلاميّة، مجموعة من محاضرات ومقالات سماحة آية الله العظمى الإمام الشّهيد السّيّد محمّد باقر الصّدر (قدس سرّه)، إعداد وتحقيق: لجنة التّحقيق التّابعة للمؤتمر العالميّ للإمام الشّهيد الصّدر (قدس سرّه)، انتشارات دار الصّدر، قم ، الطّبعة الأولى، ١٤٣٢هـ .
- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشّيخ المفيد الإمام أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النّعمان العكبريّ البغداديّ (٤١٣هـ)، نشر وتحقيق: مؤسّسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التّراث، بيروت، الطّبعة الثّانية، ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م.
- أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها من غرائب آي التّنزيل، محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازيّ، اعتنى به وراجعه: نجيب ماجدي، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، الطّبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.
- الإعجاز البيانيّ في صيغ الألفاظ، الدّكتور محمّد الأمين الخضريّ، مطبعة الحسن الإسلاميّة، القاهرة، الطّبعة الأولى، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م.
- الأعلام، قاموس تراجم، خير الدّين الزّركليّ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطّبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.
- الاقتضاب في شرح أدب الكُتّاب، أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن السّيد البطليوسيّ (٥٢١هـ)، تحقيق: الأستاذ مصطفى السّقّا، الدّكتور حامد عبد المجيد، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، ١٩٩٦م.
- البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدّين محمّد بن عبد الله الزّركشيّ (٧٩٤هـ)، تحقيق: الدّكتور يوسف عبد الرّحمن المرعشلي، الشّيخ جمال حمدي الذّهبيّ، الشّيخ إبراهيم

عبد الله الكرديّ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطَّبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
- تأويل مشكل القرآن، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ)، تحقيق: السّيّد أحمد صقر، مكتبة دار التّراث، القاهرة، الطَّبعة الثّانية، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.
- التّذييل والتّكميل في شرح كتاب التّسهيل، أبو حيّان الأندلسيّ (٧٤٥هـ)، حقَّقه الأستاذ الدّكتور حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، (د.ت).
- التّسهيل، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، حقَّقه وقدّم له: محمّد كامل بركات، دار الكاتب العربيّ للطّباعة والنّشر، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.
- تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، الشّيخ محمّد بدر الدّين بن أبي بكر بن عمر الدّمامينيّ (٨٢٧هـ)، تحقيق: الدّكتور محمّد بن عبد الرّحمن بن محمّد المفدى، الطَّبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، محبّ الدّين محمّد بن يوسف بن أحمد، المعروف بناظر الجيش (٧٧٨هـ)، دراسة وتحقيق: أ.د. عليّ محمّد فاخر، أ.د. جابر محمّد البراجة، أ.د. إبراهيم جمعة العجميّ، أ.د. جابر السّيّد مبارك، أ.د. عليّ السّنوسيّ محمّد، أ.د. محمّد راغب نزّال، دار السّلام، القاهرة، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.
- تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، أبو جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ الطّوسيّ (٤٦٠هـ)، صحّحه وعلّق عليه: عليّ أكبر الغفّاريّ، مكتبة الصّدوق، تهران، الطَّبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ثورة الحسين في الوجدان الشّعبيّ، محمّد مهدي شمس الدّين، الدّار الإسلاميّة، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م .
- حاشية الصّبّان على شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك، تحقيق طه عبد الرّؤوف سعد، المكتبة التّوفيقيّة، القاهرة، (د.ت).
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنّي، تحقيق: محمّد عليّ النّجّار، المكتبة العلميّة، دار الكتب المصريّة.
- الرّوض الأنف في تفسير السّيرة النّبويّة لابن هشام، أبو القاسم عبد الرّحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعميّ السُّهيليّ (٥٨١هـ)، علّق عليه ووضع حواشيه: مجدي بن منصور بن سيد الشّوري، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.

- سنن ابن ماجة، الحافظ أبو عبد الله محمّد بن يزيد القزوينيّ، ابن ماجة (٢٧٥هـ)، حقّق نصوصه ورقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلّق عليه: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع.
- شرح التّسهيل، جمال الدّين محمّد بن عبد الله بن عبد الله الطّائيّ الجيانيّ الأندلسيّ (٦٧٢هـ)، تحقيق: الدّكتور عبد الرّحمن السّيّد، الدّكتور محمّد بدوي المختون، هجر للطّباعة والنّشر والتّوزيع والإعلان، الطّبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
- شرح الرّضيّ على الكافية، المعروف شرح كافية ابن الحاجب، رضيّ الدّين محمد بن الحسن الاستراباديّ النّحويّ (٦٨٦هـ)، تحقيق وتعليق: يوسف حسن عمر، دار المجتبى، مكتبة بارسا، قم، الطّبعة الأولى، ١٣٨٩هـ ش، ٢٠١٠م.
- الصّاحبيّ، كتاب في فقه اللّغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا (٣٩٥هـ)، تحقيق: الشّيخ أحمد صقر، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، القاهرة، الطّبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.
- الصّواعق المحرقة على أهل الرّفض والضّلال والزّندقة، أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن محمّد بن علي ابن حجر الهيثميّ (٩٧٣هـ)، تحقيق: عبد الرّحمن بن عبد الله التّركيّ، كامل محمّد الخرّاط، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، دار الوطن، الرّياض، الطّبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
- فقه اللّغة وسرّ العربيّة، أبو منصور الثّعالبيّ (٤٢٩هـ)، قرأه وقدّم له وعلّق عليه: خالد فهمي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطّبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
- الكافي، أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكلينيّ الرّازيّ (٣٢٩هـ)، تحقيق: قسم إحياء التّراث، مركز بحوث دار الحديث، قم، الطّبعة الثّالثة، ١٤٣٤هـ .
- الكامل، الإمام أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد (٢٨٥هـ)، حقّقه وعلّق عليه وصنع فهارسه: الدّكتور محمّد أحمد الدّالي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، الطّبعة الثّالثة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
- كامل الزّيارات، أبو القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه القُمّيّ (٣٦٨ هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيّومي، مؤسسة نشر الفقاهة.
- كتاب الخصال، الشّيخ الصّدوق (٣٨١هـ)، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاريّ، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة، قم المقدّسة، ١٤٠٣هـ .

- كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الملقّب بـ (سيبويه) (١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السّلام محمّد هارون، دار التّاريخ، بيروت، لبنان.
- كتاب ليس في كلام العرب، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، ابن خالويه (٣٧٠هـ)، وضع التّنقيح والشّرح والضّبط: الدّكتور ديزيره سقال، دار الفكر العربي، بيروت، الطّبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، الإمام محمود بن عمر الزّمخشريّ (٥٣٨هـ)، رتّبه وضبطه وصحّحه: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- الكواكب الدّريّة على متتمّة الآجروميّة، الشّيخ محمّد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل (من أعيان القرن الثّالث عشر)، مؤسّسة الكتب الثّقافيّة، البيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
- لسان العرب، ابن منظور (٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، قم، إيران، ١٤٠٥هـ .
- المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جنّيّ (٣٩٢هـ)، تحقيق: علي النّجدي ناصف، الدّكتور عبد الفتّاح إسماعيل شلبي، أعدّه للطَّبعة الثّانية وقدّم لها: محمّد بشير الإدلبيّ.
- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرّسول، العلامة المجلسيّ (١١١١هـ)، إخراج ومقابلة وتصحيح: السّيّد هاشم الرّسوليّ، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، الطّبعة الثّانية، ١٤٠٤هـ .
- المزار، الشهيد محمّد بن مكّي العامليّ الجزينيّ، الشّهير بالشّهيد الأوّل (٧٨٦هـ)، تحقيق: محمود البدريّ، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، الطَّبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- المزار الكبير، الشّيخ أبو عبد الله محمّد بن جعفر المشهديّ، تحقيق: جواد القيوميّ الأصفهانيّ، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ، الطَّبعة الأولى، رمضان المبارك ١٤١٩هـ.
- المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها، العلامة عبد الرَّحمن جلال الدّين السّيوطيّ (٩١١هـ)، شرحه وضبطه وصحّحه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه: محمّد أحمد جاد المولى بك، محمّد أبو الفضل إبراهيم، علي محمّد البجّاوي، مكتبة دار التّراث، القاهرة، الطَّبعة الثّالثة.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، تحقيق: جمع من المحقّقين بإشراف: الشّيخ شعيب

الأرنؤوط، مؤسّسة الرّسالة، بيروت.
- مصباح المتهجّد، الشّيخ الطّوسيّ (٤٦٠هـ)، مؤسّسة فقه الشّيعة، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.
- المقتضب، أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد، تحقيق: محمّد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، جمهوريّة مصر العربيّة، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
- معاني القرآن، أبو زكريّا يحيى بن زياد الفرّاء (٢٠٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطّبعة الثّالثة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- معجم مقاييس اللّغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا (٣٩٥هـ)، بتحقيق وضبط: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- موسوعة سيرة أهل البيت (عليهم السلام)، الشّيخ باقر شريف القرشيّ، تحقيق: مهدي باقر القرشيّ، دار المعروف، مؤسّسة الإمام الحسن (عليه السلام)، النّجف الأشرف، الطّبعة الرّابعة، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م.
- موصل النّبيل إلى نحو التّسهيل، خالد بن عبد الله الأزهريّ (٩٠٥هـ)، رسالة دكتوراه، تحقيق ودراسة الطّالبة: ثريّا عبد السّميع إسماعيل، جامعة أم القرى، كلية اللّغة العربيّة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
- نظرات في الإعداد الرّوحيّ، الشّهيد الشّيخ حسين معن، مركز الإمام الباقر (عليه السلام)، قم، الطّبعة الخامسة، ١٣٨٦هـ . ش، ٢٠٠٨م.
- نهج البلاغة، المختار من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، لجامعه الشّريف الرّضيّ محمّد بن الحسين بن موسى (٤٠٦هـ)، تحقيق: السّيّد هاشم الميلانيّ، العتبة العلويّة المقدّسة، مكتبة الرّوضة الحيدريّة، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.
- همع الهوامع، شرح جمع الجوامع في النّحو، الإمام الحافظ جلال الدّين عبد الرّحمن بن الكمال أبو بكر السّيوطيّ (٩١١هـ)، اعتنى به: الشّيخ أحمد عِزّو عناية، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان، الطّبعة الثّانية، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.